٢ ـ الاستعارة

الاستعارة: هي إحداث علاقة بين طرفين، من خلال إكساب أحدهما صفة الآخر، أي: خلع صفة مختصّة بشيء على شيء آخر.... مثل قوله تعالى (والصُّبْحِ إذا تَنَفّسَ) حيث خلع صفة (التنّفس) . وهي مختصّة بالعضويّة الإنسانيّة والحيوانيّة . على (الصبح) الذي هو جماد لا يتنفس. وقد أُدمِجت الصفتان في مظهر واحد هو: تنفّس الصبح.

الاستعارة والتشبيه: وفي ضوء هذا التعريف للاستعارة، يكون الفارق بينها وبين (التشبيه) هو: أنّ التشبيه يتضمّن طرفين، أحدهما يشابه الآخر، والاستعارة تتضمّن طرفين أحدهما يستعير أو يكتسب صفة الآخر.

مسوّغات الاستعارة:

تتمثّل مسوّغات الاستعارة في كونها تستهدف توضيح وتعميق بعض الدلالات المتّسمة بأهميّة كبيرة بحيث لا يفي (التشبيه) بتحقيق ذلك. وهذا من نحو قوله تعالى على لسان أهل البيت عليهم السلام عند تقديمهم الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً: (إنّا نَخافُ مِنْ رَبّنا يومَاً عَبُوساً)، فقد كان بالإمكان أن يعبّر عن ذلك بهذا النحو مثلاً (يوماً كالوجه العابس) فيجيء التشبيه بدل الاستعارة: لكن بما أنّ شدائد اليوم الآخر لا تُقاس بشدائد الدنيا ولا تشبه عبوس الوجه البشري، لذلك تجيء الاستعارة عنصراً ضروريّاً لإبراز هذا المستوى من الشدّة حيث لا يتمّ ذلك إلاّ من خلال عمليّة (دمج) بين الطرفين (اليوم، وعبوس الوجه) حيث يُعبّر هذا الدمج عن أنّ اليوم الآخر هو (عابس) بالفعل، وليس مشابهاً للوجه العابس، بل أنّه هو العبوس بعينه: تعبيراً عن شدّة الأهوال التي ترافق ذلك اليوم.

٣ ـ التقريب

هو إحداث علاقة بين طرفين من خلال إكساب أحدهما صفة الآخر، على نحو (المقاربة) للشيء، وليس (الإعارة)... وهذا من نحو قوله تعالى عن جهنّم (تكادُ تَمَيّز مِنَ الغَيْظِ) وقوله تعالى (تَكادُ السّماواتُ يَقَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً). فالفارق بين التقريب والاستعارة هو وجود أداة المقاربة (كاد، أوشك)...، فلو قيل (تَمَيّز من الغيظ) و (السماوات يتفطَّرن) و(تخرُّ الجبال) لكنّا أمام استعارة... أمّا لو أُضِيفت إليها (تكاد) فنكون أمام (تقريب) أو مقاربة كما لحظنا في الآيتين المتقدّمتين.

مسوّغات التقريب:

التقريب أو المقاربة تعني: أنّ درجة العلاقة بين الطرفين هي أقلُّ حجماً من درجة العلاقة بين طرفي الاستعارة، ففي قوله تعالى (إنّا نَخافُ مِنْ رَبّنا يَوْماً عَبُوساً) تكون درجة العلاقة بين عبوس الإنسان واليوم الآخر من الضخامة بمكان كبير إلى درجة الاندماج بين العبوس واليوم الآخر، أمّا في (التقريب) فإنّ درجة العلاقة تكون ضئيلة، بحيث لا يخلع على أحد الطرفين صفة الطرف الآخر بل بدرجة تقارب الخلع دون أنْ يتحقّق الخلع نفسه، فقوله تعالى (تَكادُ تَميّز) تكون بمعنى أنّ جهنّم (تقترب) من درجة التميز دون أن تتميز فعلا: كما هو شأن الاستعارة. حينئذٍ فإنَّ المسوّغ لـ (التقريب) هو توضيح درجة الغضب على الكافرين، وهو غضب كبير دون أدنى شك، لا يختلف عن غضب اليوم الآخر المتمثل في (العبوس)، ولكن الفارق بين الغضبين أنّ عبوس اليوم الآخر يقترن بالأهوال التي يواجهها الإنسان، حيث يتطلّب الموقف درجة عالية من إحداث العلاقة بين الأهوال والعبوس. أمّا في قوله تعالى عن جهنّم (تَكادُ تَميّز) فإنّ الأهوال التي ترافقها قد تكفل بتجسيدها خزنة جهنّم (تَكادُ تَميّز مِنَ الغَيظِ كَلّما أُلقِيَ فِيْها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزنَتُها أَلمْ يأتِكُم نَذِيْر) وحينئذٍ فإنّ جهنّم يظلُّ انفعالها مختلفاً عن الانفعال الذي يصدر عنه الخزنة، ربَّما نظراً لمجيئها في الدرجة الثانية من المسؤولية حيال بيئة الكافرين.

وحين نتّجه إلى الصورة (التقريبيّة) الأخرى (تَكادُ السماواتُ يَتفطّرنَ... وَتَخرُّ الجِبالُ هَداً) نجد أنّ كلاً من (التفطّر) و(التصدّع) جاء على نحو (المقاربة) وذلك لسبب واضح هو: أنّ السماوات لا تتفطّر والجبال لا تخرّ بالفعل لمجرّد صدور المعصية عن المشركين لأنّ ذلك يسقط عملية (الاختبار) أو الأمتحان الإلهي للإنسان، حيث أنّ غالبيّة الناس تسقط في مثل هذا الاختيار كما هو واضح. حينئذٍ فإنّ إحداث العلاقة بين السماوات والجبال وبين الغضب يظلّ محدوداً بدرجة لا تصل إلى التصدّع والتفطرّ، بل بدرجة (تقترب) من ذلك: تعبيراً عن شدّة الغضب من جانب، واتّساقاً مع الحركة الكونيّة وصلتها بوظيفة الإنسان من جانب آخر.

إذن: أدركنا السر الفني في الصورة (التقريبيّة) وافتراقها عن الصورة (الاستعاريّة)، مع أنّ كلتيهما تتناولان نمطاً واحداً من الانفعالات: العبوس، الغضب،... الخ، ولكن الموقف هو الذي يستدعي أن تكون درجة العلاقة في إحداهما قويّة، وفي الأُخرى بدرجة أقل بالنحو الذي أوضحناه.

٤ ـ التمثيل

التمثيل هو: إحداث علاقة بين طرفين، من خلال جعل أحدهما تمثيلا وتجسيما للطرف الآخر، بحيث يكون أحدهما هو عين الآخر...، مثل قوله عليه السلام:

((القناعة: كنزٌ لا يفنى)).

فهنا نواجه تركيباً يختلف عن (التشبيه) و(الاستعارة)، ففي التشبيه نقوم برسم حدود فاصلة بين القناعة والكنز، فنقول (القناعة كالكنز)، أمّا في (التمثيل) فَنُزيل الحدود بين الطرفين ونقول: (القناعة كنز...) فتصبح (القناعة) هي عين (الكنز).

التمثيل والصور الأخرى:

قلنا الفارق بين التمثيل وبين ما تقدّمها من الاستعارة والتشبيه، هو: أنّ التشبيه يتضمّن علاقة بين طرفين من خلال أدوات التشبيه وعباراتها.

أمّا التمثيل فهو بمثابة تشبيه حُذِفت أداته فزالت الفارقية بين الطرفين وأصبح أحدهما (تمثيلاً) للآخر لا تشبيهاً به.

وأمّا المعيار الذي نفرّق من خلاله بين (التمثيل) والاستعارة فهو: إنّنا في الاستعارة، نجعل لأحد الطرفين صفة الطرف الآخر... (كما لو قلنا: أبواب الإجابة مفتوحة: حيث تُجعل للإجابة: الأبواب).

أمّا في (التمثيل) كما في قوله عليه السلام: ((الجهاد: بابٌ من أبواب الجنّة)) لم نجعل للجهاد صفة (باب الجنّة) بل مثّلناه وجسّمناه في (باب) من أبواب الجنّة. وحتّى في حالة جعل (الاستعارة) طرفاً، كما في قوله عليه السلام ((الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة... فهو: لباس التقوى))، فإنّ هذه الاستعارة تُعَدُّ (تمثيلاً) لباب الجنّة.

إذاً: في الاستعارة يُصبح إحداث العلاقة بين الطرفين: إعارة طرف لصفة الآخر، وفي التمثيل تجسيّم طرف للآخر، وفي التشبيه: مشابهةَ طرفٍ لآخر.